

شرح حديث  
شَدِيدُ بَرَأْفَتِي

تأليف  
الأمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي

الشهيد ابن رجب الحنبلي  
٧٤٦ - ٧٩٥ هـ

تحقيق  
إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي

دار العبَّاصية  
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة للناشر

ولا يحق لأحد طباعته بدون إذن الناشر فقط

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

الصَّفِّ وَالِإِخْرَاجِ وَالرُّعَايَةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

وَالرُّعَايَةِ

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور  
أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يُضلل فلا  
هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله:

أما بعد:

فهذه رسالة من رسائل العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله  
تعالى حوت درراً نفيسة من مواعظ الأقوال وعوالي الكلام، وما أباحه  
الله سبحانه من البيان والسحر الحلال، نهجَ فيها ابن رجب أسلوبه  
المعتاد في شرح الأحاديث المفردة بكلام ثمين، مستقيماً مصادره من  
كتاب الله وما صحَّ من رواية عن رسول الله، ثم معرّجاً على أقوال  
السلف الكرام والصالحين وأهل الحكمة مستأنساً بضعيف الروايات  
معطياً إيها ما صحَّ من المعاني، متجنباً فيها الموضوعات، منمقاً  
شرحه بأشعار الصالحين، وهذه عادته ودأبه في جميع رسائله.

ولقد ظلت هذه الوريقات المخطوطة عندي ردحاً من الزمن حتى من الله سبحانه عليّ بفضلته وكرمه فيسرّ لي نسخها وضبطها والتعليق عليها، وتخريج رواياتها، بما فتح الله عليّ، فإن أصبتُ فتلك منة الله عليّ ولا حول لي ولا قوة: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ وإن أخطأت وقصرت فهذا شأني ودأبي: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾.

والله العزيز أسأل وبصفاته العليا أتوسل، أن يلهمنا رشدنا ويتقبل عملنا ويسدد أقوالنا ويرزقنا فهماً صحيحاً لكتابه، وسنة نبيه، وعقلاً وافرأ، إنه سميع مجيب.

## وصف النسخة المعتمدة

لم أعر على مخطوطة لهذا الكتاب سوى التي عندي وهذا ما أشار إليه من ألف في مؤلفات ابن رجب، ومخطوطتنا تقع في سبع ورقات ضمن مجاميع ضخمة تحمل الرقم (٤٧٧٦ مجاميع) من مخطوطات وزارة الأوقاف في بغداد، خطها واضح، تعود إلى القرن الثاني عشر للهجرة، مسطرتها ٣٢ سطراً، كتبت آياتها باللون الأحمر والأصفر، والرسالة ناسخها إما أحد الألوبيين، أو أحد علماء نجد، وذلك أني وجدت على بعض الهوامش تعليق لأحد علماء أوس: «إما العلامة محمود شكري الأوسي، أو عمه نعمان الأوسي رحمهم الله» إذ أن هؤلاء كانت لهم عناية متميزة في تلك الحقبة الزمنية في العراق بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن رجب الحنبلي، والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب. هذه المجاميع تحتوي على رسائل ومسائل وفتاوى لكل من شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، وللحافظ ابن رجب الحنبلي، وللإمام محمد بن عبد الوهاب، ورسائل مختصرة لعلماء نجد لكتابات ابن قيم الجوزية، وهذه النسخة عليها تملك لمفتي العراق آنذاك العلامة

إبراهيم بن فضال بن فضال، وعليها طرة باسمه.  
وقبل إرسالها هذه الرسالة عثرت على نسخة أخرى تعود إلى  
إحدى مكتبات اسطنبول فُرج من كتابتها سنة ٨٩٣هـ بخط الناسخ  
عيسى بن علي بن محمد الحوراني الدمشقي وهي مجاميع تقع  
في ٢٧٥ ورقة تحتل رسالتنا الورقة ١٠٥ - ١٢١.

## ترجمة المؤلف

\* اسمه ونسبه: هو الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي، الحنبلي، الشهير بابن رجب، وهو لقب جده عبدالرحمن.

ولد سنة ٧٣٦هـ في بغداد بعد مرور ثمانين عاماً من سقوطها على يد المغول، رحل إلى دمشق مع أبيه سنة ٧٤٤هـ وسمع العلم بها وبالحجاز وبالقدس، ثم استقر بدمشق.

له شيوخ عدة، منهم الإمام ابن قيم الجوزية والعلائي، وتلمذ عليه جمع من العلماء يطول ذكرهم.

\* ثناء أهل العلم عليه :

\* قال ابن ناصر الدين الدمشقي (الرد الوافر ص ١٧٦):  
الشيخ الإمام العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة  
الحجة، أوعظ المسلمين، مفيد المحدثين، أحد الأئمة الزهاد  
والعلماء العبّاد.

\* الحافظ ابن حجر العسقلاني (الدرر الكامنة ٢ / ٣٢٢):  
الشيخ المحدث الحافظ، مهر في فنون الحديث إسماعاً ورجالاً  
وطرفاً وإطلاعاً على معانيه، كان صاحب عبادة وتهجد.

\* ابن فهد (لحظ الألفاظ ص ١٨٠): الإمام الحافظ  
الحجة، والفقير العمدة، أحد العلماء الزهاد والأئمة العباد، مفيد  
المحدثين، واعظ المسلمين.

\* ابن مفلح (المقصد الأرشد ٢ / ٨١): الشيخ العلامة  
الحافظ الزاهد شيخ الحنابلة.

وكذا أثنى عليه السيوطي كما في (ذيل تذكرة الحفاظ)  
ص ٣٦٧، والعلمي في (المنهج الأحمد) ٢ / ١٧٤، وابن العماد  
في: (شذرات الذهب) ٦ / ٣٣٩، وغيرهم كثير.

\* تصانيفه: يُعدُّ ابن رجب من المتميزين في عصره  
بالتأليف فقد مهر في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والرقائق.

(أ) علوم القرآن :

١ - تفسير سورة النصر - مطبوع.

٢ - تفسير سورة الإخلاص - مطبوع.

٣- إعراب البسملة.

٤- إعراب أم الكتاب.

٥- تفسير سورة الفاتحة.

٦- الاستغناء بالقرآن.

(ب) الحديث:

١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. وصل فيه إلى كتاب

الجنائز، يوجد في الظاهرية نسخة منه وكذا في دار الكتب

المصرية.

٢- شرح جامع الترمذي. قال البعض: في نحو عشرين مجلداً،

ولكنه مفقود، توجد منه عشروريات في المكتبة الظاهرية.

٢- شرح علل الترمذي طبع أكثر من طبعة، أجودها بتحقيق

الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، كرسالة دكتوراه.

٤- الحكيم الجديرة بالإذاعة - مطبوع.

٥- شرح حديث: ما ذئبان جائعان - مطبوع.

٦- اختيار الأولى في شرح اختصام الملاء الأعلى - مطبوع.

٧- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - مطبوع.

٨- بيان فضل علم السلف على الخلف - مطبوع.

- ٩ - غاية النفع - مطبوع.
- ١٠ - نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي لابن عباس - مطبوع.
- ١١ - كشف الكربة في وصف حال أهل الغربية - مطبوع.
- ١٢ - استنشاق نسيم الأنس - مطبوع.
- ١٣ - شرح حديث شداد بن أوس، وهي رسالتنا هذه.  
وهناك رسائل مخطوطة للشيخ لم تطبع بعد.  
(ج) الفقه :

- ١ - القواعد الفقهية - مطبوع.
- ٢ - الاستخراج في أحكام الخراج - مطبوع.
- ٣ - أحكام الخواتيم - مطبوع.
- ٤ - نزهة الأسماع في مسألة السماع - مطبوع.  
وله مؤلفات عدة في الفقه أكثرها مفقود.  
(د) التراجم :
- ١ - الذيل على طبقات الحنابلة - مطبوع.
- ٢ - مختصر سيرة عمر بن عبدالعزيز - مطبوع.
- ٣ - سيرة عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز - مطبوع.
- ٤ - مشيخة ابن رجب.

٥ - وقعة بدر.

(هـ) الوعظ والفضائل والرفائق:

١ - لطائف المعارف - مطبوع.

٢ - التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار - مطبوع.

٣ - أهوال يوم القيامة - مطبوع.

٤ - أهوال القبور - مطبوع.

٥ - الفرق بين النصيحة والتعيير - مطبوع.

٦ - الذل والانكسار - مطبوع.

وهناك مؤلفات أخرى، منها: شرح الأربعين النووية، والذي أضاف إليه ابن رجب عشرة أحاديث وسماها: الخمسين الرجبية، والكتاب مطبوع باسم جامع العلوم والحكم، حوى فوائد حديثية وفقهية وسلوكية.

□ وفاته:

توفي الحافظ ابن رجب الحنبلي بدمشق سنة ٧٩٥هـ ودفن بمقبرة الباب الصغير.

## عملي في الرسالة

١ - خرَّجت الأحاديث والآثار وحاولت جهد إمكانني أن أحكم على الحديث صحة وضعفاً.

٢ - عزوت الأقوال والأشعار ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٣ - علَّقت تعليقات بسيطة على ما رأيتُه مناسباً.

وأخيراً أسأل الله العظيم أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه ولا يجعل لأحد منه شيئاً.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد.

كتبه

أبو معاذ

إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام أبو الفرج عبدالرحمن ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: خرج الإمام أحمد من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»<sup>(١)</sup>. وخرجه الترمذي

(١) حديث شداد بن أوس، رواه الإمام أحمد في مسنده: (١٢٣/٤)، وأبو نعيم في الحلية: (٢٦٦/١)، من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية: أن شداد... وهذا منقطع بين حسان وشداد لكن رواه الطبراني في «الكبير» [٧١٥٧]، وأبو نعيم في الحلية [٢٦٦/١]، من طريق سويد بن عبدالعزيز عن حسان بن مسلم بن مشكم عن شداد... وهذا سند متصل، لولأنه من طريق سويد بن عبدالعزيز؛ فإنه لين الحديث.

مختصراً<sup>(١)</sup>، وابن حبان<sup>(٢)</sup> في صحيحه، والحاكم<sup>(٣)</sup> وصححه، وله طرق متعددة عن شداد، وفي بعض طرقه: أن النبي ﷺ علمهم أن يدعوا بهذه الكلمات في الصلاة وفي دبر الصلاة<sup>(٤)</sup>.

= رواه الطبراني في «الكبير» [٧١٣٥]، من طريق إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عن أبي الأشعث عن شداد، وفيه محمد بن يزيد، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره أبو نعيم في «الحلية» [٢٦٧/١]، من طريق محمد بن عبدالله الشعبي عن شداد، ومحمد بن عبدالله لم يدرك شداداً.

ورواه الحاكم: (٥٠٨/١)، ومن طريقه: البيهقي في «الدعوات»، من طريق عكرمة بن عمار قال: سمعت شداداً أبا عمار يحدث عن شداد، فذكره، والحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي لكن شداد أبا عمار لم يدرك شداد بن أوس.

والحديث حسن بهذه الطرق... وله شواهد كثيرة، لكن دون ذكر «كنز الذهب والفضة».

(١) الترمذي: (٣٤٦٨).

(٢) ابن حبان، موارد: (٢٤١٦).

(٣) الحاكم: (٥٠٨/١)، وصنيع المؤلف يومه أن الحاكم وابن حبان خرجه مختصراً، وليس كذلك.

(٤) الدعاء رواه النسائي: (٥٤/٣)، وفي عمل اليوم والليلة: (٨١٢)، وابن السني: (٧٤٦)، وتهذيب ابن عساكر: (٢٩١/٦، ٢٩٢)، وأحمد: (١٢٥/١)، لكن في الإسناد مجهول.

فقوله ﷺ: «إِذَا كُنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْتَزُوا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتُ»<sup>(١)</sup>. إشارة إلى أن كنز هذه الكلمات أنفع من كنز الذهب والفضة؛ فإن هذه الكلمات نفعها يبقى، والذهب والفضة يفنى، قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد روي أن سليمان بن داود عليه السلام مرَّ في موكبه ومعه الإنس والجن بحرَّاث، فقال الحرَّاث: «لقد أوتي ابن داود ملكاً عظيماً؛ فأتاه سليمان فقال له: «تسيحة واحدة خير من ملك سليمان؛ لأن التسيحة تبقى وملك سليمان يفنى»<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث المشهور عن ثوبان أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾<sup>(٤)</sup>. فقال النبي ﷺ: «تَبَّ لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ». قالوا: يارسول الله، فما نتخذ؟ قال: «ليتخذ

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) النحل: ٩٦..

(٣) هذا من الإسرائيليات ذكره أبو نعيم في «زيادات الزهد» [٢١٠].

(٤) التوبة: ٣٤.

أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة سالحة تُعين أحدكم على إيمانه»<sup>(١)</sup>.

قال بعضهم: إنما سمي الذهب ذهباً؛ لأنه يذهب، وسميت الفضة فضة لأنها تنفض، يعني تنفض بسرعة، فلا بقاء لهما، فمن كنزهما فقد أراد بقاء ما لا يبقاء له، فإن نفعهما ما هو إلا بانفاقهما في

(١) رواه أحمد (٥/٧٨، ٢٨٢)، الترمذي (٣٠٩٤)، وحسنه وابن ماجه (١٩٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٨٢، ١٨٣)، والطبراني في الصغير (٢/٤٥): عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان، وسالم لم يسمع من ثوبان كما قال البخاري، ورواه أحمد (٥/٣٦٦) بسند فيه مجهول، لكن الألباني - رعاه الله - رجح في السلسلة الصحيحة (٢١٧٦)، بأن المجهول هو سالم، وهو ثقة معروف، والحديث عزاه الألباني والإمام أحمد عن ميهم من الصحابة، والصحابة كلهم عدول ثقات، إلا أن ما يعكر هذا أن التابعي عبدالله بن أبي الهذيل قال: «حدثني صاحب لي»، وقد يكون صاحبه تابعي آخر، فلا أدري كيف عرفوا أنه صحابي، والله أعلم. ولكني والله الحمد وجدت سنداً رجاله ثقات، رواه عبدالرزاق، قال: أخبرنا الثوري أخبرنا أبو الحصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي، وهؤلاء كوفيون ثقات.

وللحديث شواهد كثيرة، ذكرها السيوطي في «الدر المنثور». والحديث صحيح، حسنه ابن حجر في «الأحاديث العاليات»، والألباني. والله أعلم.

وجوه البر وسبل الخير.

وقال الحسن: بثس الرقيق الدرهم والدينار لا ينفعانك حتى يفارقانك<sup>(١)</sup>، فما دام مكنوزين فما يضران ولا ينفعان، وإنما نفعهما بإنفاقهما في الطاعات، قال الله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ثم لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يُحمى عليها في نار جهنم﴾<sup>(٢)</sup>. والآية ذم ووعيد لمن يمنع حقوق ماله الواجبة من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والإنفاق في النوائب.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يوم القيامة صُفّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتّى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»<sup>(٣)</sup>.

(١) قول الحسن البصري - رحمه الله - ذكره أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٥).

(٢) التوبة: ٣٤.

(٣) رواه مسلم (٩٨٧)، عن أبي هريرة.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من آتاه الله مالاً فلم يُؤدِّ زكاته مُثْلَ له يومَ القيامةِ شجاعاً أقرع له زبيبتان يُطَوِّقُهُ يومَ القيامةِ ثم يأخذُ بلهزمتيه، يعني شديقه، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك» ثم تلا: ﴿ولا تحسبنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هوشرلهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يكون كنزُ أحدكم يومَ القيامةِ شجاعاً أقرع يفرُّ منه يومَ القيامةِ ويطلبه، ويقول: أنا كنزك، فلا يزال يطلبه حتى يبسطَ يدهُ فيلقمها فاه»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال: «ما من صاحب كنزٍ لا يفعلُ فيه حقُّه إلا جاءَ كنزه يومَ القيامةِ شجاعاً أقرعاً يتبعهُ فاتحاً فاهُ، فإذا آتاهُ فرَّمه، فيناديه: خذ كنزك الذي خبأتُهُ فأنا عنه غني، فإذا رأى أن لا بدَّ له منه سلكَ يده في فيه فيقضمها قضم»

(١) الآية في آل عمران: ١٨٠، والحديث رواه البخاري (١٤٠٣، ٤٥٦٥)، عن أبي هريرة.

(٢) البخاري (٦٩٥٧)، عن أبي هريرة، إلا أنه قال: (صاحبه)، بدلاً من: (يوم القيامة).

الفخْلِ»<sup>(١)</sup>. والشجاع: الحية الذكر، والأقرع: الذي قد تمعّط شعر فروة رأسه لكثرة سمه<sup>(٢)</sup>.

فلهذا ورد الشرع باكتناز ما يبقى نفعه بعد الموت من الإيمان والأعمال الصالحة والكلمات الطيبة، فإن نفع ذلك يبقى وبه يحصل الغنى الأكبر، قال ابن مسعود: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها من آخر الليل<sup>(٣)</sup>. وآخر سورة البقرة من كنز تحت العرش أعطيته هذه الأمة مع سورة الفاتحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم [٩٨٨]، وبدايته: «ما من صاحب إيل... ولا صاحب كنز... عن جابر.

(٢) هذه التفاسير لهذه الألفاظ ذكرها أبو عبيد في «غريب الحديث»، والأزهري في «التهذيب»، يراجع الفتح: (٣/ ٢٧٠).

(٣) أثر ابن مسعود، ذكره الدارمي في سنته [٣٣٩٣]، وأبو عبيد في «فضائل القرآن»، والبيهقي في «الشعب».

(٤) أما نهاية سورة البقرة، فقد ذكر أكثر من حديث في هذا الباب، ذكرها ابن كثير والسيوطي في «الدر المنثور» وغيرهم، أما الفاتحة فكونها كنز من تحت العرش، فهناك روايات في الدر لا تبلغ درجة الصحة، أما الحوقلة (لا حول ولا قوة إلا بالله) فحديثها ثابت في هذا الباب.

وفي بعض الآثار الإسرائيلية: كنز المؤمن ربه. يعني أنه لا يكتنز سوى طاعته وخشيته ومحبته والتقرب إليه، فمن كان كنزه ربه وجده وقت حاجته إليه، كما في وصية النبي ﷺ لابن عباس: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشّدّة»<sup>(١)</sup>.

أنت كنزي، أنت ذخري، أنت عزّي، كيف أخشى الفقرا إذا كنت أمني عند فقري، من كان الله كنزه فقد ظفر بالغنى الأكبر، قال بعض العارفين:

من استغنئى بالله أمن من العدم

ومن لزم الباب أثبت في الخدم

(١) حديث ابن عباس معروف رواه الإمام أحمد: (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٤ ط أحمد شاكر، الترمذي: (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، والطبراني في «الكبير» [١١٢٤٣، ١١٤١٦، ١١٥٦٠، ١٢٩٨٨، ١٢٩٨٩] ابن أبي حاتم في علل الحديث، [١٨٤٤]، أبو نعيم في «الحلية» [٣١٤/١]، القضاعي في «مسند الشهاب» [٧٤٥]، والبغوي في «السنة» [١٢٣/٢]، والحاكم في «المستدرک» [٥٤١/٣]، والعقيلي في «الضعفاء» [٣٩٨/٣].

والحديث حسن كما بيّن ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»، وقد =

ومن أكثر ذكر الموت أكثر من الندم

تنقضي الدنيا والفتى فيها معنًا

ليس في الدنيا نعيم ولا عيش مهنا

ياغنيًا بالدنانير فحب الله أغنى

والمقصود هنا شرح الكلمات التي أمر ﷺ بكنزها وأشار إلى

أن نفعها خير من الذهب والفضة، وهي تتضمن طلب العبد من ربه لأهم الأمور الدينية.

فقوله ﷺ: «أَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ» المراد بالأمر: الدين والطاعة،

فسأل الثبات على الدين إلى الممات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾<sup>(١)</sup>. الذين: قالوا (ربنا الله) كثير، ولكن أهل الاستقامة قليل، كان

عمر يقول في خطبته: «اللهم اعصمنا بحفظك وثبتنا على أمرك»؛ فالاستقامة والثبات لا قدرة للعبد عليه بنفسه، فلذلك يحتاج أن يسأل ربه.

كان الحسن إذا قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾

يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة<sup>(٢)</sup>. كان النبي ﷺ كثيرًا ما

= شرح ابن رجب الحديث مرتين: مرة في «جامع العلوم والحكم»، ومرة في رسالة مستقلة، سماها: «نور الاقتباس» وهي مطبوعة.

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) قول الحسن ذكره ابن كثير في تفسير هذه الآية.

يقول: «يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»<sup>(١)</sup>. فقيل له في ذلك فقال: «إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاعه»، وفي رواية للترمذي<sup>(٢)</sup>: قلنا: يارسول الله، أمان بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ فقال: «نعم..» ثم ذكر الحديث.

كيف يا من قلبه بين إصبعين؟ كيف يطيب عيش من لا يدري بما يختم له؟ كم من عامل خاشع وقع على قصة عمله: ﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾، رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وقائم حظه من قيامه السهر، كان بعض الصالحين يسرد

(١) حديث قلب القلوب ورد بالفاظ مختلفة وعن عدة من الأصحاب منهم: عائشة، النوراس، أبو هريرة، أم سلمة، أنس، وغيرهم، والحديث رواه أحمد: (١١٢/٣)، (١٨٢/٤)، (٩١/٦)، (٢٥١، ٢٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (١٠١/١) (١٠٣/١)، (١٠٤/١) والحاكم: (٢٨٨/٢، ٢٨٩)، والطبراني في «الكبير»: (٧٥٩، ٧٢٣٢)، والأجري في «السرعة»: (٣١٧)، والطبري في تفسيره: (١٢٥/٣)، والبغوي في «شرح السنة»: (١٦٥/١، ١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية: (١٢٢/٨)، وابن عدي: (٢٢٥٢/٦)، «والإيمان» لابن أبي شيبة، (٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨)، والدولابي في «الكنى»: (٩١/٢)، وعبد الرزاق في «المصنف»: (١٩٦٤٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣٦/١٠، ٣٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٣٧/١١).

(٢) والترمذي: (٢١٤٠)، وحسنه، عن أنس.

الصيام فإذا أفطَرَ بكي، ويقول: أخشى أن يكون حظي منه الجوع والعطش.

في الصحيح: «إن أحدكم ليعملُ بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراعٌ ثم يسبقُ عليه الكتاب»<sup>(١)</sup>. كم من عامل يعمل الخير إذا بقي بينه وبين الجنة ذراع وشارف مركبه ساحل النجاة ضربه موج الهوى فغرق.

المحنة العظمى أن أمرك كله بيد من لا يبالي بوجودك ولا عدلك، كم أهلك قبلك مثلك، ﴿قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾<sup>(٢)</sup>. كان الحسن يبكي ويطلق البكاء ويقول: «أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي»<sup>(٣)</sup>. قال أبو الدرداء: ما أهون العباد على الله إذا

(١) الحديث متفق عليه، رواه البخاري (٧٤٥٤) ومسلم (٢٦٤٣)، والإمام أحمد (١/٣٨٢، ٤٣٠)، وغيرهم.

(٢) المائدة: ١٧.

(٣) هذا الأثر ذكره ابن القيم في «الجواب الكافي» ولم أجد مظانه لقلّة المراجع، والله المستعان.

عصوه<sup>(١)</sup>.

يا قلب لِمَ تطالبنني بلقاء الأُحباب وقد رحلوا  
أرسلتك في طلبني لهم لتعود فضعت وما حصلوا  
سلم واصبر واخضع لهم كم مثلك قبلك قد قتلوا  
ما أحسن ما عقلت به آمالك منهم لو فعلوا

العبد يحتاج إلى الثبات طول حياته، وأحوج ما يحتاج إليه عند مماته، في الطبراني: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله؛ وقولوا: الثبات، الثبات، ولا قوة إلا بالله»<sup>(٢)</sup>. ويحتاج إلى الثبات أيضاً بعد الموت، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي

(١) قول الصحابي أبي الدرداء ذكره ابن عساکر (١٣/٣٨٩/١)، عندما فتح المسلمون قبرص.

(٢) الحديث بهذا اللفظ ذكره الطبراني في «الصغير» (٢/١٢٥)، وفي «الأوسط» بنفس السند وفيه عمر بن صهبان المدني (وقد يدعى عمر بن محمد بن صهبان المدني) وهو ضعيف جداً، وبه أعلى الهيثمي في المجمع، يراجع لترجمته الميزان: (٣/٢٠٧، ٢٢٠)، والتهمذيب: (٧/٤٠٨). والثابت في هذا الباب مارواه مسلم وغيره «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» وهو المحفوظ، أما هذه الرواية فمتكرة لمخالفة الضعيف الثقات. ولعل ابن رجب أوردها لوجه لفظ الثبات.

الحياة الدنيا وفي الآخرة»<sup>(١)</sup>. وفي الصحيح: أنها نزلت في سؤال القبر، يُسأل المؤمن في قبره فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله<sup>(٢)</sup>.

وفي سنن أبي داود أنه ﷺ كان إذا دفن الميت يقول: «سلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»<sup>(٣)</sup>. من دخل في الطاعة فهو يحتاج إلى الثبات عليها، يامعشر التائبين: أنتم تقاتلون جنود الهوى بجنود التقوى، فاصبروا وصابروا وربطوا، لاتقولوا: جنود الهوى لا طاقة لنا بها، ولكن اصبروا إن الله مع الصابرين، ياجنود العزائم اثبتوا واحذروا هتكة الهزيمة: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم عن البراء.

(٣) أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم (١/٣٧٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

والبيهقي (٤/٥٦): عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال النووي:

«(٥/٢٩٢) إسناده جيد، والحديث صححه الألباني وغيره، والله أعلم.

(٤) الأنفال: ٦٥.

لَا تَجْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ خُطْبِ عَرَا وَلَا تُرِ الْأَعْدَاءَ مَا يُشْمَتُ<sup>(١)</sup>  
يَا قَوْمَ بِالصَّبْرِ يَنَالُ الْمَنَى إِذَا لَقَيْتُمْ فِتْنَةً فَانْتَبِهُوا  
يَا قَوْمَ: الثبات الثبات، والمداومة المداومة إلى الممات،  
أحب العمل إلى الله أذومه وإن قل، قال الحسن: «إن الله لم يجعل  
لعمل المؤمن أجلاً دون الموت» ثم قرأ: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك  
اليقين﴾<sup>(٢)</sup>.

في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا  
وَرُوحُوا وَشِيءٌ مِنَ الدَّلِجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»<sup>(٣)</sup>.

يامعشر التائبين: صوموا اليوم عن شهوات الهوى لتدركوا عيد

(١) ذكر ابن رجب هذا الشعر، وقال بعضهم في «نور الاقتباس» ص ٤٨، ونصه  
في المخطوط والمطبوع هكذا:

لا تجزعن من كل خطب عرا ولا ترى الأعداء ما يشمتوا  
وهذا لا يجوز لغة، فصححناه.

(٢) أثر الحسن رواه ابن المبارك في الزهد (١٨) (١٩)، مرة القول دون الآية،  
ومرة الآية، وفسرها وكذا ذكره أحمد في الزهد: (٣٣٣).

(٣) رواه البخاري: (٦٤٦٣)، وأحمد: (٥/٢٣٧، ٥١٤)، وهناك ألفاظ كثيرة  
رواها البخاري وغيره. وهذا الحديث شرحه ابن رجب في رسالة مستقلة  
مطبوعة: «المحجة في سير الدلجة».

الظريوم اللقاء، لا يطولن عليكم الأمد باستبطاء الأجل، فإن معظم  
نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب.

وما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويَزُولُ<sup>(١)</sup>

﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾<sup>(٢)</sup>،

﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾<sup>(٣)</sup>. من سار في طريق

العبودية إلى لقاء الحبيب فلا بد من مواصلة السير حتى يصل، فإن

وقف في الطريق أَوْ رَجَعَ هَلَكَ، فإن اشتدَّ عليه ألم السير فليذكر

راحة الوصول وقد زال التعب:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور تستضيء به وقت المسير وفي أعقابها حادي

إذا اشتكت من كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد<sup>(٤)</sup>

قوله ﷺ: «والعزيمة على الرشد»، الرشد مبدأ الخير، فإن

(١) ذكر هذا الشعر ابن رجب في «نور الاقتباس» ونسبه: «قال بعضهم».

(٢) الانشقاق: ٦.

(٣) العنكبوت: ٥.

(٤) هذا الشعر يذكره ابن رجب مراراً في اللطائف، ومن قبله شيخه ابن القيم

في «رسالة السماع»، وغيرها.

الإنسان قد يعلم الرشد وليس له عليه عزم، فإذا عزمَ على فعله أفلح، والعزيمة: هي القصد الجازم المتصل بالفعل، وقيل: استجماع قوى الإرادة على الفعل، ولا قدرة للعبد على ذلك إلا بالله، فلهذا كان من أهم الأمور سؤال الله العزيمة على الرشد.

وفي المسند عن عمران بن حصين قال لرجل: «قل: اللهم قني شرفنفسى واعزم لي على أرشد أمرى»<sup>(١)</sup>. فالعبد يحتاج إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه في تحصيل العزم، وفي العمل بمقتضى العزم بعد حصول العزم، قال الله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

(١) رواه الترمذي: (٣٤٨٣)، والطبراني في «الكبير»: (١٨/رقم ٣٩٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٥٣٤)، والحديث فيه شيبب بن شيبب وهو ضعيف، وفيه سماع الحسن من عمران بن الحصين، وهذا فيه كلام عند أهل العلم. وحتى على رأي ابن معين، الذي قال عن سماع الحسن من عمران: «أما في حديث البصريين: فلا، وأما في حديث الكوفيين: فنعم»، وهذا من أحاديث البصريين؛ فإن شيبب بصري ضعيف. والعلة الثالثة عنعنة الحسن، وهو معروف بالتدليس. ولكن للحديث شواهد، رواها الإمام أحمد: (٤/٤٤٤)، والحاكم: (١/٥٠١)، وقال: على شرطهما، ووافقه الذهبي، وكذا ابن حبان في صحيحه، لذا فالحديث حسن؛ فقد حسنه ابن حجر في «أمالي الأذكار»، وحسنه غيره، والله أعلم.

على الله إن الله يحب المتوكلين ﴿١﴾.

والرشد: هو طاعة الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾<sup>(٢)</sup>. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى»<sup>(٣)</sup>. والرشد ضد الغي، قال تعالى: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾<sup>(٤)</sup>. فمن لم يكن رشيداً فهو إما غاوٍ وإما ضال؛ كما قال تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾<sup>(٥)</sup>. فالغاوي: من تعمد خلاف الحق، والضال: من لم يتعمد.

والعزم نوعان: أحدهما: عزم المرید<sup>(٦)</sup> على الدخول في

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) هذا فيه أحاديث كثيرة، منها: مارواه مسلم (٨٧٠)، وأحمد (٢٥٦/٤)، وغيرهم.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

(٥) النجم: ٢.

(٦) يعني بالمرید: «من أراد سلوك طريق الخير والنجاة»، لا ما يعنيه أرباب التصوف، ولعلَّ الشيخ ابن رجب، وشيخه ابن القيم، وشيخ الإسلام =

الطريق، وهو من البدايات.

والثاني: العزم على الاستمرار على الطاعات بعد الدخول فيها، وعلى الانتقال من حال كامل إلى حال أكمل منه، وهو من النهايات؛ ولهذا سمي الله تعالى خواص الرسل وهم أولو العزم، وهم خمسة، وهم أفضل الرسل، فالعزم الأول يحصل للعبد الدخول في كل خير والتباعد من كل شر؛ إذ به يحصل للكافر الخروج من الكفر والدخول في الإسلام، وبه يحصل للعاصي الخروج من المعصية والدخول في الطاعة، فإذا كانت العزيمة صادقة، وصمم عليها صاحبها، وحمل على هوى نفسه وعلى الشيطان حملة صادقة ودخل فيما أمر به من الطاعات؛ فقد فاز. وعون الله للعبد على قدر قوة عزمته وضعفها، فمن صمم على إرادة الخير أعانه وثبته؛ كما قيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم<sup>(١)</sup>.

= ابن تيمية - رحمهم الله جميعاً - يستعملون ألفاظ التصوف؛ لشبوعه في زمانهم، وانتشاره، وسطوته على قلوب الناس والحكام، هذا الأمر جعل أهل العلم يستعملون هذه المصطلحات، واستبدال معانيها الباطلة بمعاني حقّة؛ وهو من فقههم - رحمهم الله -.

(١) هذا الشعر مشهور للمتنبّي، في مدح سيف الدولة الحمداني.

لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه بعد سليمان بن عبد الملك فأول ما اشتغل به دفن سليمان، فلما رجع من دفنه فصفت له مراكب الخلافة، فوقف وأنشد:

ولولا النهي ثم التقى خشية الرزى

لعصيت في حب الصبا كل زاجر

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى

له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، قربوا لي بغلي، فركب دابته التي كان يركبها أولاً، وسار مستصحباً لتلك العزيمة، فعلم الله صدقه فيها فأعانه عليها، فأول ما بدا منه أنه سار بين يديه أهل الموكب فنحاهم وقال: إنما أنا رجل من المسلمين، ثم نزل فقعده، فقام الناس بين يديه، فأقعدهوا. قال: إنما يقوم الناس لرب العالمين. ثم عزم على رد المظالم فأدركته القائلة، وكان قد تعب وسهر تلك الليلة لموت سليمان بن عبد الملك، فدخل ليقيل ثم يخرج فيرد المظالم وقت صلاة الظهر، فجاء ابنه عبد الملك فقال: أتمام وما رددت المظالم؟ فقال: إذا صليت الظهر رددتها، فقال

عبدالملك: ومن لك أن تعيش إلى الظهر؟ وإن عشت فمن لك أن تبقى لك نيتك؟ فقام وخرج ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ورد المظالم، وجاء بكتب القرى والأملاك التي كانت في يده من أقطاع بني أمية فمزقها، وردّ تلك القرى كلها إلى بيت مال المسلمين، وكان يقول: إني لي نفساً تواقه ما نالت شيئاً إلا تآقت إلى ما هو أفضل منه، فلما نالت الخلافة وليس فوقها في الدنيا منزلة تآقت إلى الآخرة:

وإذا كانت النفوس كباراً      تعبت في مرادها الأجساد<sup>(١)</sup>

لما ولي الخلافة سمعوا في بيته صريخاً عالياً من النساء، فسئل عن ذلك، فقبل له خبر امرأته وجواريه فقال: من أرادت منكن أن تذهب فلتذهب، ومن أرادت أن تقيم فلتقم وليس لها مني نصيب، فإني قد نزل بي أمر شغلني عنكن، فبكين إياساً منه.

ذاكروه مرة شيئاً مما كان فيه قبل الخلافة من النعيم فبكي

(١) هذا الشعر للمتنبى أيضاً، ولكنه بلفظ «الأجسام»، وكره ابن رجب أكثر من مرة بلفظ «الأجساد».

حتى بكى الدم، وكان أكثر ما يقات به حال خلافته العدس والزيت، فإذا عوتب على ذلك يقول: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غداً في النار.

ودخل مرة على بناته وقد كن تعشين بعدس فيه بصل فكرهن أن يشمن منهن رائحة ذلك، فلما رأينه هربن، فبكى وقال: يا بناتي، إما تفعلن أن تعشين الألوان ويذهب بأبيكن إلى النار. وكان يقول لأولاده: إن أباكم خَيْرَ بين أن تفتقروا، ويدخل الجنة، وبين أن تستغنوا ويدخل النار، فاختر أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه<sup>(١)</sup>:

كم أحمل في هواكم ذلاً وعنا      كما أصبر فيكم تحت ضرّ وضنا  
لا تطردوني فليس لي عنكم غنا      خذوا روعي إن أردتم لروعي ثمنا<sup>(٢)</sup>.

(١) أخبار الخليفة الراشد «عمر بن عبدالعزيز»، يراجع فيها: «سيرة عمر بن عبدالعزيز»، لابن عبدالحكم ولابن الجوزي، وكذا «حلية الأولياء»: (٢٥٣/٥)، والطبري (٥٦٥/٦)، وابن الأثير: (٥٨/٥)، وسير الأعلام: (١١٤/٥)، للذهبي.

(٢) هذا الشعر أورده ابن رجب في «نور الاقتباس»، ولكنه غير موزون، ولعله هنا أوزن.

كان يقول لبعض أعوانه: إذا رأيتني ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني وقل: ما تصنع يا عمر؟

من أجلك قد أنزلت خدي أرضاً  
مولاي إلى متى بهذا أحظى  
لازال ينحل جسمه حتى  
حبي والفراق أورثاني سقماً  
دعني فالشوق قد كفاني خصماً  
خفي شجي ولو عتي بتلون  
قلبي قلق بحب من يرضيه  
كم كان يعذل على حاله ويؤلام  
لو قطعني الغرام إرباً إرباً  
لازلت بكم أسير وجد الصبا  
حتى أفضي على هواكم نجباً<sup>(١)</sup>

ما زالت به المحبة حتى رفته إلى درجة الرضا بمُرّ القضاء  
فكان يقول: أصبحت ومالي سرور في غير مواضع القضاء والقدر.

(١) عزى ابن رجب هذا الشعر في «نور الاقتباس» إلى فتح الموصلي، وذكر بيتين منه، والشعر أقرب للكلام الموزون منه إلى النظم. وقد حاولت معرفة بقية الشعر، لتفادي السقوط، فلم أوفق.

ومات أعوانه على الخير كلهم في أيام متواليه؛ ابنه عبد الملك، وأخوه سهل، ومولاه مزاحم، فكان يقول بعد موتهم في مناجاته: إن تعلم ما زددت لك إلا حباً ولا فيما عندك إلا رغبة.

ولما دفن ابنه عبد الملك، وكان أحب الخلق إليه، قال: ما زلت أرى فيه السرور وقرّة العين من يوم ولد إلى يومي هذا، فما رأيت فيه أمراً قط أقر لعيني من أمر رأيت فيه اليوم. وكتب إلى الأمصار: أن الله أحب قبضه، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله، فإن خلاف ذلك لا يصلح في بلائه عندي وإحسانه إليّ ونعمته عليّ:

إن كان سكان الغضى      رضوا بقتلي فرضاً  
والله لا كنت لما      تهوى الحبيب مبغضاً  
صرت لهم عبداً وما      للعبد أن يعترضاً<sup>(١)</sup>

إخواني، الخير كله منوط بالعزيمة الصادقة على الرشد، وهي

(١) هذا الشعر ذكره ابن رجب في رسالته: «استنشاق نسيم الأُنس»، وصححت بعض كلماته منه، ومن «نور الاقتباس».

الحملة الأولى التي تهزم جيوش الباطل وتوجب الغلبة لجيوش الحق:

زجر الحق فؤادي فارعوى وأفاق القلب مني وصحا

هزم العزم جيوشاً للهوى سادتي لاتعجبوا إن صلحا

قال أبو حازم<sup>(١)</sup>: إذا عَزَمَ العبد على ترك الآثام آتته الفتوح. يشير إلى ما يفتح عليه بتيسير الإنابة والطاعة ومقامات العارفين، سُئِلَ بعض السلف: متى ترحل الدُّنيا من القلب؟ قال: إذا وقعت العزيمة؛ ترحلت الدُّنيا من القلب ودرج القلب في ملكوت السماء، وإذا لم تقع العزيمة اضطرب القلب ورجع إلى الدُّنيا، من صدق العزيمة يشس منه الشيطان، ومتى كان العبد متردداً طمع فيه

(١) هو «سلمة بن دينار» الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، تابعي صغير، وُلِدَ في أيام ابن الزبير، كان ثقة كثير الحديث، أقواله كلها حكم، حديثه في الكتب الستة، توفي سنة: ١٤٠ هـ، وقيل: ١٣٣ هـ، وقيل: ١٣٥ هـ، وقيل: ١٤٤ هـ، يُراجع لترجمته «حلية الأولياء» (٢٢٩/٣)، «تذكرة الحفاظ»: (١٣٣/١)، «تهذيب التهذيب»: (١٤٣/٤)، «سير أعلام النبلاء»: (٩٦/٦).

الشیطان وسوفه ومناه، يا هذا: كلما رآك الشيطان قد خرجت من مجلس الذكر كما دخلت وأنت غير عازم على الرشد فرح بك إبليس وقال: فديت من لا يفلح.

يامن شاب ولاناب، ولاعزم على الرُّشد ولاأناب، لقد أفرحت الشيطان وأسخطت الرحمن:

وإذا تكامل الإنسان من عمره خمسون وهو إلى التقى لم يجنح  
عكفت عليه المخزيات فما له متأخر عنها ولا مترحزح  
وإذا رأى الشيطان غرة وجهه حيًّا وقال فديت من لا يفلح<sup>(١)</sup>

قوله ﷺ: «وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك» هذا كما وصى النبي ﷺ معاذاً أن يقول في دُبُر كل صلاة: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»<sup>(٢)</sup>. فهذان أمران: أحدهما شكر

(١) هذا الشعر أورده ابن رجب في: «الطائف المعارف»، والتصحيح من هنالك.

(٢) الحديث معروف من وصية النبي ﷺ لمعاذ، وكذا روي من - دعاء الرسول - عن أبي هريرة، وكلاهما صحيح، رواه الإمام أحمد: (٥/٢٤٤، ٢٤٧)، (٢/٢٩٩)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٠/٢٨٤، ٤٢٧)، وأبو داود: (١٥٢٢)، وابن أبي الدنيا في «الشكر»: (٤/١٠٩)، وأبو يعلى والبيهقي، =

المنعم، وهو مأمور به؛ قال تعالى: ﴿واشكروا لي ولا تكفرون﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾<sup>(٢)</sup>.

والشكر بالقلب واللسان، والعمل بالجوارح؛ فالشكر بالقلب: الاعتراف بالنعمة للمنعم، وأنها منه وبفضله. وجاء من حديث عائشة مرفوعاً: «مأنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلاّ كتب الله له شكرها»<sup>(٣)</sup>.

ومن الشكر بالقلب: محبة الله على نعمه؛ ومنه حديث ابن عباس المرفوع: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة»<sup>(٤)</sup>. قال

= في: «الشعب»، وأبو نعيم في: «الحلية» (١/٢٤١)، (٥/١٣٠) (٩/٢٢٣)، وفي أخبار أصبهان: (٢/٢٤١)، والحاكم: (١/٧٣)، (٢/٢٧٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن خزيمة: (١/٣٦٩)، وابن السني في: «عمل اليوم والليلة»: (١١٨)، والخطيب في تاريخه: (٥/١٥٨).

(١) البقرة: ١٥٢.

(٢) النحل: ١١٤.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٧)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٤١)، بمعناه، والبيهقي في «الشعب»، وفيه هشام بن زياد، وهو متروك، وروي موقوفاً على عائشة، ولكنه من طريق هشام أيضاً.

(٤) رواه الترمذي: (٣٨٧٨)، وقال: «حسن غريب»، ورواه الطبراني: =

بعضهم: إذا كانت القلوب جبلت على حب من أحسن إليها فواعجباً لمن لا يرى محسناً إلا الله! كيف لا يميل بكليته إليه! وقال بعضهم:

إذا أنت لم تزد على كل نعمة لمؤتيكها حباً فليست بشاكر

إذا أنت لم تؤثر رضا الله وحده على كل ما تهوى فليست بصابر

والشكر باللسان: الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها وإظهارها،

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(١)</sup>. وفي حديث

= (٢٦٣٩)، (١٠٦٦٤)، والحاكم: (١٥٠/٣)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في «الحلية»: (٢١١/٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد»: (١٦٠/٤)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية»: (١/٢٦٥) - (٢٦٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير»: (١/١٨٣)، والذهبي في «الميزان»: (٤٣٦٧)، وابن عساكر في «تهذيب التاريخ»، والبيهقي في «الشعب»، والحديث فيه عبدالله بن سليمان النوفلي: مجهول، إذ أن مدار الروايات عليه، وأخطأ ابن الجوزي إذ علله بآخرين ضعفاء، ولكن بعض الروايات خلت منهم، فالعلة في: النوفلي، والحديث ضعيف، ضعفه الألباني - رعاه المولى - في «فقه السيرة»: (٢٣).

النعمان بن بشير المرفوع: «التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر»<sup>(١)</sup>، وقال عمر بن عبد العزيز: «ذكر النعم شكرها»<sup>(٢)</sup>؛ وكان يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرًا، وأن أكفرها بعد معرفتها أو أنساها فلا أثنى بها»<sup>(٣)</sup>. قال فضيل: «كان يُقال: من شكر النعمة أن تحدث بها»<sup>(٤)</sup>؛ وجلس ليلة هو وابن عيينة يتذاكران النعم إلى الصباح<sup>(٥)</sup>.

والشكر بالجوارح: أن لا يستعان بالنعمة إلا على طاعة الله

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٤)، والبيهقي في «الشعب»، وفيه عمر ابن إسماعيل الهمداني، وهو متروك - وتابعه الخرائطي، من طريق الحسن ابن ناصح.

وكذا رواه أحمد: (٢٧٨/٤، ٣٧٥)، وفيه الجراح بن مليح، والد وكيع، وفيه ضعف، وكذا رواه أبو الشيخ في الأمثال (١١١)، فلعل الحديث يكون حسنًا بهذه الطرق والمتابعات، والله أعلم.

(٢) قول عمر ذكره ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٨).

(٣) ذكره ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٨)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب».

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٦)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١٤)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب».

عز وجل، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه؛ قال تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾<sup>(١)</sup>. قال بعض السلف: «لما قيل لهم هذا؛ لم تأت عليهم ساعة إلا وفيهم مُصَلٌّ»<sup>(٢)</sup> وكان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه، وقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»<sup>(٣)</sup>.

ومر ابن المنكدر بشاب يقاوم امرأة، فقال: «يا بني ما هذا جزاء نعمة الله عليك»<sup>(٤)</sup>.

العجب ممن يعلم أن كل مابه من النعم من الله ثم لا يستحي من الاستعانة بها على ارتكاب مانها:

هب البعث لم تأتنا رسله      وجاحمة الجحيم لم تضرم  
أليس من الواجب المستحق      حياء العباد من المنعم

(١) سبأ: ١٣.

(٢) ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٧٤)، ومن طريقه: البيهقي في «الشعب»، وإسناده صحيح.

(٣) هذا حديث متفق عليه، ورواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي، وغيرهم كثير. رواه أكثر من ثمانية من الصحابة، وللحافظ ابن حجر كلام لطيف في الفتح: (١٥/٣)، (٣٠٥/١١).

(٤) ذكره ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٦).

وحافظ عليها بشكر الإله فشكر الإله يزيل النقم<sup>(١)</sup>

دخل خالد بن صفوان على عمر بن عبدالعزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرض أن يكون أحد فوقك، فلا ترص أن يكون أحد أولى بالشكر له منك. فبكى عمر حتى غشي عليه.

والأمر الثاني: حسن العبادة، وحسنها: إتقانها والإتيان بها على أكمل وجوهها، وإلى هذا أشار ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان؛ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(٢)</sup>. فأشار إلى مقامين:

أحدهما: أن يعبد العبد مستحضراً لرؤية الله إياه، ويستحضر قرب الله منه واطلاعه عليه؛ فيخلص له العمل، ويجتهد في إتقانه وتحسينه.

والثاني: أن يعبده على مشاهدته إياه؛ فيعامله معاملة حاضر لا معاملة غائب، وقد وصّى ﷺ رجلاً: «أن يصلي صلاة مودّع»<sup>(٣)</sup>،

(١) هذا الشعر ذكره ابن القيم مراراً.

(٢) هذا جزء من حديث «الإيمان» المعروف، وهو حديث متفق عليه.

(٣) حديث «صل صلاة مودّع»، له طرق كثيرة، وشواهد، أذكر بعضاً منها: =

يعني أن يستشعر أنه يصلي صلاة لا يصلي بعدها صلاة أخرى؛

- (أ) عن ابن عمر، رواه البخاري في التاريخ: (٢١٦/٢/٣)، والطبراني في «الأوسط»، كما في مجمع البحرين (ص ٤٨٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢٩/١٠): وفيه من لم أعرفهم». ورواه البيهقي في «الزهد الكبير»: (٥٢٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب»، وفي الحديث مجاهيل.
- (ب) سعد بن أبي وقاص، رواه الحاكم: (٣٢٦/٤ - ٣٢٧)، والديلمي في «مسند الفردوس»، وفيه محمد بن أبي حميد، مجمع علي ضعفه.
- (ج) سعد بن عمار، (وكانت له صحبة)، الطبراني في «الكبير»: (٥٤٥٩)، ذكره الهيثمي مرتين بالمجمع: (٢٢٨/١)، وقال: «فيه عبيد الله بن سعد عن أبيه»، لم أر من ترجمهما، وفي: (٢٣٦/١٠)، ورجاله ثقات. وهذه الرواية حسنها ابن حجر في: «الإصابة»: (٧٠/٣)، ولعلَّه صححها بالشواهد.
- (د) أنس، ذكره الديلمي في «مسند الفردوس»، وحسنه الحافظ ابن حجر، كما في «الجامع الكبير» للسيوطي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»: (١٤٢١)، وعلته شبيب ابن بشر - وهو قليل الرواية، وثقه ابن معين، ولينه أبو حاتم، وقال ابن حبان: «يخطيء كثيراً»، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يخطيء». وهذه الروايات تجعل لهذا الحديث أصلاً صحيحاً، وله شواهد من رواية أحمد: (٤١٢/٥)، وابن ماجه: (٤١٧١)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٤٦٢/١)، وفيه عثمان بن جبير، وهو مجهول، والحديث صححه الألباني في «السلسلة»، برقم: (٤٠١)، (١٩١٤)، والله أعلم.

فيحمله ذلك على إتقانها وتكميلها. وقد وردت أحاديث فضائل الأعمال مقيدة بإحسان العمل، كما في حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحا عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص؛ الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عز وجل» خرجه البخاري تعليقا، وفي رواية «وقيل له: استأنف العمل»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة

(١) رواه النسائي: (٤٦٢٥ صحيح النسائي)، والبخاري معلقاً: (٩٨/١) الفتح)، وقال الحافظ: وصله أبو ذر الهروي في روايته للصحیح وغيره، ووصله الدارقطني في «غرائب مالك»، والبيهقي في «الشعب»، وصححه الحافظ، ومن قبله الخطيب البغدادي، فقال: «حديث ثابت، وسنده صحيح»، ومن بعدهم الألباني، كما في «السلسلة الصحيحة»: (٢٤٧)، وأحب أن أنوه إلى أن رواية البخاري ليس فيها ذكر الحسنه، ولكن الجميع على إنباتها. أزلّف بمعنى: أسلف وقدم: (الخطابي)، وقيل: جمع وكسب: (القاضي عياض).

ضعف؛ وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقي الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً: عن عثمان عن النبي ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخِذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ»<sup>(٣)</sup>.

وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد<sup>(٤)</sup> الإكثار منه، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان<sup>(٥)</sup>؛ قال بعض السلف: «إن الرجلين ليقومان في

(١) رواه مسلم (١٢٩)، وأحمد (٣١٧/٢)، عن أبي هريرة.

(٢) مسلم (٢٤٥)، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) مسلم (١٢٠) عن عبدالله. (٤) ليست في الأصل.

(٥) ذكر ذلك عن علي رضي الله عنه، ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب «التقوى» (وهو

كتاب مفقود وتوجد نسخة لمختصره في رامبور): (الدر المشور ٢/٢٧٤)، وكذا

روي عن فضالة بن عبيد، رواه ابن أبي الدنيا في التقوى. الدر [٢/٢٧٤]، وكذا

روي عن ابن عمر، رواه ابن عساکر، كما في الدر (٢/٢٧٤).

الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض؛ كم بين من تصعد صلاته لها نور وبرهان كبرهان الشمس، وتقول: حفظك الله كما حفظتني؛ وبين من تُلَفُّ صلاته كما يُلَفُّ الثوبُ الخلق ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني»<sup>(١)</sup>. ولهذا قال ابن عباس وغيره: «صلاة ركعتين في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه»<sup>(٢)</sup>.

قال بعض السلف: «لا يقل عمل مع تقوى؛ وكيف يقل ما يتقبل؟» يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾؛ ولهذا قال من قال من الصحابة: لو علمت بأن الله قبل مني ركعتين كان أحب إلي من كذا وكذا، فمن اتقى الله في العمل قبله منه<sup>(٣)</sup>، ومن

(١) هذا الأثر ورد مرفوعاً بسند ضعيف، رواه الطبراني في «الأوسط»:

(١/٣٠٢)، المجمع وكونه أثراً عن السلف، أقرب للصواب.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة»: (٤٤)، وأبو نصر المروزي في «قيام الليل»:

(ص ١٣٢ مختصره)، وفيه محمد بن كثير، صدوق كثير الغلط، وفيه عطاء

ابن السائب: صدوق اختلط، ورواه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٩٧)،

وفيه رجل مجهول، ولفظه ركعتان، مقتصد أن فيهما تفكر.

(٣) هذه الأقوال عن الصحابة والسلف، هي التي ذكرناها آنفاً عن علي وابن

عمر وفضالة.

لم يتقه لم يقبله منه.

والتقوى في العمل: أن يأتي به على وجه إكمال واجباته الظاهرة والباطنة؛ وإن ارتقى إلى الإتيان بآدابه وفضائله كان أكمل، في الملاء الأعلى، ومباهاة الملائكة. وقد يراد بالقبول: الثواب على العمل، وإن لم يرض به والقبول هنا يُراد به: الرضا بالعمل، والمدح لعامله، والثناء عليه، في الملاء الأعلى، ومباهاة الملائكة. وقد يُراد بالقبول: الثواب على العمل، وإن لم يرض به ولم يمدح عامله، فيجازى عليه بأنواع من الجزاء، فضلاً من الله وإحساناً، وإن لم يرض عن عامله<sup>(١)</sup>، كما رؤي بعض المفرطين في النوم فسُئِلَ عن حاله فقال: غفر لي وأعرض عني. وعن جماعة من العلماء لم يعملوا بعلمهم.

ويطلق القبول على إسقاط الفرض بالعمل، وإن لم يثب عليه بثواب غير سقوط العقوبة والمطالبة بأداء الفرض به، والعارفون كلهم إنما يطلبون القبول بالوجه الأول، وهو الرضا، ويخافون من فواته أشد الخوف، قال مالك ابن دينار: «وددت أن الله إذا جمع

(١) الكلام على قبول الأعمال، تكلم فيه شيخ المصنف الإمام ابن القيم في بداية كتابه: «الوابل الصيب»، وفيه تفصيل بديع.

الخلايق يقول لي: يامالك، فأقول: لبيك، فيأذن لي أن أسجد بين يديه سجدة فأعرف أنه قد رضي عني، ثم يقول: يامالك، كن تراباً اليوم، فأكون تراباً»<sup>(١)</sup>.

وكان بعضهم يقول في سجوده:

متى ألقاك وأنت عني راضٍ وعذبني بكثرة الإغراض  
واعترض ولست عنه بالمعتاض يامن بوصاله شفئ أمراضي  
هل أنت عليّ ساخط أم راضٍ

رضاه أكبر من الجنة ونعيمها فليس للعارفين هم سواه.

لعلك غضبان وقلبي غافل سلام على الدارين إن كنت راضياً  
وقوله ﷺ: «وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً»؛ القلب  
واللسان هما عبارة عن الإنسان؛ كما يُقال: الإنسان بأصغريه؛  
قلبه، ولسانه. وخرَّج ابن سعد من رواية عروة بن الزبير مرسلًا<sup>(٢)</sup>، أن  
النبي ﷺ لما رأى أشج عبدالقيس، وكان رجلاً دميماً، فقال للنبي  
ﷺ: «إنه لا يُستقى في مُسوك الرجال، إنما يُحتاج من الرجل إلى

(١) كلام مالك بن دينار في السير: (٣٦٤/٥)، عن جعفر بن سليمان، ولعله

في كتابه: «المحبة» الذي ذكره ابن رجب في «الخشوع في الصلاة».

(٢) الطبقات (٥٥٨/٥) مرسلًا من طريق عبدالله بن الحكم وكان ابن رجب

ذهب طرفه إلى الحديث الذي سبقه فهو من مراسيل عروة.

أصغريه؛ لسانه، وقلبه» وقال المتنبّي<sup>(١)</sup>:

لسان الفتى نصف ونصف فواده ولم يبق إلا صورة اللحم والدم  
فمن استقام قلبه ولسانه استقام شأنه كله، فالقلب السليم هو  
الذي ليس فيه محبة شيء مما يكرهه الله، فدخل في ذلك: سلامته  
من الشرك الجلي، والخفي، ومن الأهواء والبدع، ومن الفسوق  
والمعاصي؛ كبائرهما وصغائرهما الظاهرة والباطنة: كالرياء والعجب  
والغل والغش والحقد والحسد وغير ذلك. وهذا القلب السليم هو  
الذي لا ينفع يوم القيامة سواه؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ  
إِلَّا مَنْ أَمَّنَ بِاللهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>. إذا سَلِمَ القلب لم يسكن فيه إلا  
الرب. في بعض الآثار، يقول الله: «وما وسعني سمائي والأرضي،  
ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»<sup>(٣)</sup>.

(١) هذا الشعر ليس للمتنبّي؛ وإنما هو لزهير بن أبي سلمى.

(٢) الشعراء: ٨٨، ٨٩.

(٣) أحسن ابن رجب في عزوه للإسرائيليات، كما ذكره ابن تيمية في:

«أحاديث القصاص» حديث رقم (١) والسخاوي في «المقاصد»:

(٣٧٣)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة»: (١/١٤٨)، والعجلوني في

«كشف الخفا»: (٢/١٩٥)، وعلي القاري في «الأسرار المرفوعة =

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره

غاب عن سمعي وبصري فسويد القلب تبصره<sup>(١)</sup>

متى سكن في القلب غير الله؛ فالله أغنى الأغنياء عن الشرك،  
وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى:

أردناكم صرفاً فلما مزجتم بعدتم بقدر التفاتكم عنا

وقلنا لكم لاتسكنوا القلب غيرنا فأسكتتم الأغيار ما أنتم منّا<sup>(٢)</sup>

سلامة الصدور من الرياء والغل والحسد والغش والحقد  
وتطهيرها من ذلك أفضل من التطوع بأعمال الجوارح، قال

= ص(٣١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (ص٢٣٦)، قال شيخ الإسلام:  
هذا مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ،  
ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي ومحبي ومعرفتي، وإلا فمن قال: إن  
ذات الله تحل في قلوب الناس، فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك  
بالمسيح وحده.

(١) هذا الشعر نسبة القشيري في «الرسالة» للجنيدي: (٢٣٨)، ولكن البيت  
الأول فقط.

(٢) هذا الشعر ذكره ابن رجب في «اللطائف»، وصححناه من هناك.

بعضهم<sup>(١)</sup>: «ما بلغ عندنا من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بسلامة الصدور وسخاوة النفوس، وكثرة أعمال الجوارح مع تدنس القلب بشيء من هذه الأوصاف لا يزكو، وهو كزرع في أرض كثيرة الآفات لا يكاد يسلم ما ينبت فيها».

وأما اللسان الصادق فهو من أعظم المواهب من الله والمنح؛ وفي الحديث: «أعظم الخطايا اللسان الكذوب»<sup>(٢)</sup>. وكذلك اللسان الصادق أعظم.

وروى أبو نعيم بإسناده أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان جالساً، فأقبل إليه تبيع الحميري، فقال عبد الله: قد أتاكم أعرف من عليها، فلما جلس قال له عبد الله: أخبرنا عن الخيرات الثلاث والشرات الثلاث، قال: نعم، الخيرات الثلاث: لسان صدوق،

(١) لعل هذا يشبه قول المزني: «ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه»، وهذا عند الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول».

(٢) هذا جزء من حديث النبي ﷺ في خطبته يوم تبوك، رواها البيهقي في «الدلائل» (٢٤١/٥)، ونقلها عنه ابن كثير في «البداية والنهاية»: (١٣/٥، ١٤) وقال: «هذا حديث غريب، وفيه نكارة، وفي إسناده ضعف» وروي موقوفاً من قول علي، رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٨٠)، وعلى عبد الله بن مسعود (٤٨١).

وقلب تقي، وامرأة صالحه. والشرات الثلاث: لسان كذوب، وقلب فاجر، وامرأة سوء، فقال عبدالله: قد قلت لكم<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «عليكم بالصدق، فإنَّ الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإيَّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً. ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً»<sup>(٢)</sup>. وفيه أيضاً عن النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»<sup>(٣)</sup>. أساس النفاق الذي بني عليه، كما أنَّ الصدق أساس الإيمان.

قال ابن مسعود: إنَّ الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) هذا في «الحلية»: (٢٨٧/١).

(٢) رواه البخاري: (٤٢٣/١٠)، ومسلم: (٢٦٧)، وغيرهما.

(٣) رواه البخاري: (٨٣/١)، ومسلم: (٥٩)، وغيرهما.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٤٥)، وعبدالله بن المبارك في

«الزهد» (٤٩١)، ووكيع في «الزهد» (٣٩٥ - ٣٩٦)، وهناد في «الزهد».

قال كعب بن مالك: «إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً؛ قال: وإنما نجاني الله بصدق»<sup>(١)</sup>.

قال بعضهم: «حقيقة الصدق أن يصدق العبد في موطن يرى أنه لا ينجيه فيه إلا الكذب»<sup>(٢)</sup>.

وكان الربيع بن حراش موصوفاً بالصدق، يُقال: إنه لم يكن يكذب قط، وكان له ابنان عاصيان للحجاج، وكان يطلبهما، فقدمَا على أبيهما. فبعث الحجاج إلى الربيع وقال: سيعلم بنو عبس أن شيخهم اليوم يكذب. فقال له: أين ابناك؟ قال: تركتهما في البيت،

= وقال السيوطي في «الدرر»: (٢٩٠ / ٣): رواه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عدي، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» وكذا أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (١٠٥)، والطبراني في «الكبير»: (١٠٢ / ٩).

(١) هذا جزء من حديث كعب بن مالك، في حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله، وأنزل الله فيهم آيات سورة التوبة: ﴿لقد تاب الله على النبي... يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ والحديث في البخاري، وغيره.

(٢) هذا هو قول الجنييد كما في «الرسالة القشيرية» (ص ١٦٦)، ويروى قريباً منه عن أبي سليمان الداراني - رحمه الله - في «الرسالة» (١٦٥).

والله المستعان، فقال: قد عفونا عنهم بصدقك<sup>(١)</sup>.

ومتى طهر اللسان من الكذب طهر من غيره من الكلام السيء المحرم واستقام حال العبد كله؛ ومتى لم يستقم اللسان فسد حاله كله. وربما يعبر عن صدق اللسان باستقامة المقال كله؛ كما قال تعالى: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾<sup>(٣)</sup>. يريد: ثناء عليهم.

وكما تنقسم الأعمال إلى صدق وغير صدق؛ والمراد بالصدق: ماله نفع ودوام، فكذلك أقوال الصدق قد يُراد بها ما هو حق، له نفع وثبات.

وجاء من حديث أنس مرفوعاً: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» خرج الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>، ويروى من حديث أبي سعيد رفعه: «إذا أصبح ابن آدم

(١) ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٥٤)، وفي «مكارم الأخلاق»، وابن حبان في «روضة العقلاء» (٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٦٨/٤).

(٢) الشعراء: ٨٤.

(٣) مريم: ٥٠.

(٤) رواه الإمام أحمد: (١٩٨/٣)، وابن أبي الدنيا في «الصمت»: (٩)، =

فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا<sup>(١)</sup>» خرجه الترمذي وصحح وقفه. وقال مطرف: «من صفا عمله صفا لسانه، ومن خلط خلط له»<sup>(٢)</sup>.

وقال يونس بن عبيد: «مارأيت أحداً لسانه منه على بال إلاّ

= والخرائطي في «ساوى الأخلاق» والبيهقي في «الشعب». وفيه علي بن مسعدة الباهلي، وبه ضعف وتدليس قتادة، وقد عنعن ورواه هناد في «الزهد» عن الحسن مرفوعاً، والله أعلم.

(١) رواه أحمد: (٩٦/٣)، والترمذي: (٢٤٠٧)، وابن المبارك في «الزهد» (١٠١٢)، ورواه كذلك أحمد في «الزهد»، وابن أبي الدنيا في «الورع»: (٩١)، وفي «الصمت» (١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٠٩/٤)، والبخاري في «شرح السنة» (٣١٦/١٤)، وهناد بن السري في «الزهد»، ورجح الترمذي وقفه على حماد بن زيد، والحديث فيه أبو الصهباء لم يوثقه غير ابن حبان، والحديث عزاه السيوطي لابن خزيمة، وللبيهقي، وحسنه الألباني، في صحيح «الجامع الصغير»، وصحيح الترمذي. إلاّ أنه أحال تفاصيل الحديث إلى مشكاة المصابيح، «التحقيق الثاني»، والذي لم يُطبع للآن.

(٢) مطرف بن عبدالله بن الشَّخِير أبو عبدالله البصري، ثقة عابد فاضل، مات سنة: ٩٥هـ قوله رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٧٨)، ورواه في الحلية: (٣٩٥/١٠)، دون ذكر اللسان.

رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله»<sup>(١)</sup>.

ومن مراسيل زيد بن أسلم: «ما من عضو من الأعضاء إلا وهو يشتكي إلى الله ما يلقى من اللسان على حدته»<sup>(٢)</sup>.

(١) يونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل ورع، مات سنة: ١٣٩ هـ أخرج له الجماعة، وقوله أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦٥٧)، روى قريباً منه أبو نعيم في الحلية: (٢٠/٣): عن يونس بن عبيد.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٣)، وفي «الورع» (٩٢)، وفيه: عبدالرحمن بن زبان الطائي، ذكره الخطيب: (١٠/٢٦٧ - ٢٦٨)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، لكن عبدالرحمن تابعه موسى بن محمد بن حيان عند أبي يعلى في مسنده: (٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧)، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٣٠٢): رجاله رجال الصحيح غير موسى بن حيان، قلت: «لكن موسى بن محمد تكلم عليه أبو زرعة كما في «الجرح» (٨/١٦١)، وقال الخطيب في «تاريخ بغداد»: (١٣/٤١): «أحاديثه مستقيمة»، وقال الذهبي عنه في «الميزان»: (٤/٢٢١): «ضعفه أبو زرعة ولم يترك». ورواه ابن السني وآخرون بسند آخر، لكن فيه مجهول، والحديث جوده ابن كثير وغيره، والحديث رواه آخرون، ذكرهم الألباني - بارك الله في علمه وعمله - في «السلسلة الصحيحة»، وصححه: (٢/٦١)، والله أعلم، قال ابن رجب: «إنَّ الحديث من مراسيل زيد بن أسلم، وهذا وهم منه، فقد رواه كل المذكورين موصولاً، والله أعلم».

قال الحسن: «اللسان أميراً لأعضاء البدن، فإذا جنى على الأعضاء جنت، وإذا عفَّ عفت»<sup>(١)</sup>.

وقد روي عن طائفة من السلف، أن اللسان ترجمان القلب، والقلب ملك الأعضاء، وبقية الجوارح جنوده، فإذا صلح الملك وترجمانه صلحت الجنود كلها، وإذا فسد فسدت الجنود كلها<sup>(٢)</sup>. فإذا كان الملك سليماً من الهوى، والترجمان صادقاً أميناً، فالرعية في عافية. وإن كان الملك جائراً، والترجمان غير أمين، فلا تسأل عن فساد حال الرعية معهما؛ ومتى كان الترجمان غير أمين، فقد يلبس، ولكن حال الجائر لا يخفى.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «الإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٩).

(٢) لعل في قول علي رضي الله عنه الذي رواه في كتاب «الصمت» (٥٨)، معنى قريباً من هذا المعنى: اللسان قوام البدن؛ فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم يقم له جارحة.

(٣) الحديث متفق عليه.

وقد تقدّم حديث أنس المرفوع: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». وفي المسند أيضاً عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه»<sup>(١)</sup>.

وفي سنن ابن ماجه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قلنا: يا رسول الله، من خير الناس؟ قال: «ذو القلب المخموم واللسان الصادق» قلنا: قد عرفنا اللسان الصادق، فما القلب المخموم؟ قال: «هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا غل ولا بغي ولا

(١) رواه الإمام أحمد: (٣٨٧/١)، قال الهيثمي في «المجمع»: (٥٣/١): «رواه أحمد، وإسناده: بعضهم مستور، وأكثرهم ثقات». وقال أيضاً: (٢٢٨/١٠): «ورجاله وثقوا، وفي بعضهم ضعف»، وقال أيضاً: (٢٩٢/١٠): «رواه البزار، وفيه من لم أعرفهم»، قال ابن حجر في «هامش مجمع الزوائد» معترضاً على الهيثمي: «كلهم معروف والآفة من الصباح». وهو الصواب؛ إذ أن الصباح بن محمد البجلي رواه عن مرة عن ابن مسعود، والصباح اتهمه ابن حبان برواية الموضوعات، وجهله ابن أبي حاتم، وقال الذهبي في «الميزان»: (٣٠٦/١): «رفع حديثين، هما من قول عبدالله بن مسعود. والصباح مجهول، له أوهام في الرفع، وفي هذه الأحاديث التي رفعها بنفس هذا السند مما رواه في الترمذي عن مرة عن ابن مسعود: «استحيوا من الله حق الحياء». واستغربه، والله أعلم.

حسد»<sup>(١)</sup>. وفي المسند عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة؛ فأما الأذن فقمع، والعين مقرة بما يوحي القلب، فقد أفلح من جعل قلبه واعياً»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «وسدد لساني واسلل سخيمة صدري»<sup>(٣)</sup>. خرجه الترمذي.

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٦)، وإسناده صحيح، ورواه آخرون بزيادة كأبي نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشعب»، والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، والحديث صحيح، يراجع «السلسلة الصحيحة» (٩٤٨).

(٢) رواه أحمد (١٤٧/٥)، والبيهقي في «الشعب»، قال الهيثمي في «المجمع»: (٢٣٢/١٠): «إسناده حسن»، وقال المنذري: (٥٦/١): «إسناده أحمد يحتمل التحسين».

وليس كما قالوا؛ فإن الحديث من طريق خالد بن معدان عن أبي ذر، وخالد يرسل عن أبي ذر، ولم أجد له شاهداً ولا متابعا، لذا فالحديث ضعيف، ضعفه الألباني - رعاه المولى - في «الجامع الصغير».

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٢٧/١)، وأبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٨٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٦)، وابن حبان (٢٤١٤) موارد، ورجاله رجال الصحيح، سوى طليق بن قيس، وهو ثقة، والحديث صححه الترمذي والألباني وغيرهما، والله أعلم.

وسخيمة الصدر: ما فيه من الغل والغش والحسد ونحو ذلك.

قال خالد الربيعي: «أمر سيدُ لقمانَ لقمانَ بذبح شاة، وقال له: اتني بأطيبها مضغتين، فأثاه باللسان والقلب، فقال له: أما وجدت فيها أطيب من هذين؟ قال: لا. ثم أمره بذبح شاة أخرى، وقال: ألقى أخبثها مضغتين، فألقى اللسان والقلب، فقال: أما كان فيها أخبث من هذين؟ قال: لا فسأله عن فعله الأول والثاني، فقال: إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا»<sup>(١)</sup>.

تعاهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله

وهذا اللسان بريد الفؤاد يدل الرجال على عقله<sup>(٢)</sup>

إذا سلم القلب وصدق اللسان؛ ترجم اللسان الصادق عن القلب السليم بأنواع السلامة؛ فهذا المسلم الذي سلم المسلمون من لسانه ويده. وإذا فسد القلب؛ فسد اللسان فترجم عن القلب بأنواع الفساد؛ وهذا الفاجر المعلن بفجوره. فإن ترجم عن القلب الفاسد بالسلامة، فهذا اللسان الكذوب، وهو المنافق الذي

(١) ذكره عن خالد الربيعي أحمد في «الزهد» في «زهد لقمان» (ص ٦٥).

(٢) الشعر لعبدالله بن المبارك كما في «الصمت» (٦٩٥).

يختلف ظاهره وباطنه، وقوله وفعله. يامن يقول بلسانه ما ليس في قلبه، لاتبع ما ليس عندك، لاتنسب أحكام فرعون إلى موسى.

وقوله ﷺ: «وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم». هذا سؤال جامع لطلب كل خير، والاستعاذة من كل شر، وسواء علمه الإنسان أو لم يعلمه. وهذا السؤال العام بعد سؤال تلك الأمور الخاصة من الخير هو من باب ذكر العام بعد الخاص.

وقد كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ويأمر بها، كما خرج الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، من حديث عائشة، أن النبي ﷺ علمها هذا الدعاء: «اللهم إنِّي أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم؛ اللهم إنِّي أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونيبك، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونيبك اللهم إنِّي أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك ما قضيت لي من قضاء أن تجعل عاقبته رشداً»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد (١٣٤/٦، ١٤٧)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٩)، وابن حبان (٢٤٦٣ - موارد)، وأبو يعلى (٤٤٧٣)، =

وخرَّجه الحاكم، وعنده أن النبي ﷺ قال لها: يا عائشة، عليك بالكوامل، وذكر الحديث<sup>(١)</sup>. وخرجه الفريابي<sup>(٢)</sup> في كتاب الدعاء، وفي رواية له أن النبي ﷺ قال لها: يا عائشة، عليك بالجوامع من الدعاء، فذكره.

وخرج الترمذي من حديث أبي أمامة قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً، فقلت: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً، فقال: «الأدلكم بما يجمع ذلك كله؟ نقول: اللهم إنا نسألك خيراً ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٣)</sup>.

= والحاكم (١/٥٢١ - ٥٢٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. والحديث صحيح كما في «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٢)، وقال: ورد فيه قول البوصيري في الزوائد، لقوله: إن الحديث فيه مقال، ورد مقاله.  
(١) الحاكم (١/٥٢١ - ٥٢٢).

(٢) للفريابي كتاب «الذكر» ذكر ذلك ابن حجر في «الفتح»: (١٣/٥٤٥)، وفي «تخريج الأذكار» «والإصابة» (٢/٨٢٢)، والسيوطي في «الدر المنثور»: (٢/٨٣٨).

(٣) الترمذي (٣٥٢١)، وقال: حسن غريب. ولكنه ضعيف، والله أعلم.

وسمع سعد بن أبي وقاص ابناً له يدعوه، يقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها، ونحواً من هذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها؛ فقال: لقد سألت الله خيراً كثيراً وتعوذت بالله من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء - وقرأ هذه الآية - ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ وإن بحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل»<sup>(١)</sup>. خرجه الإمام أحمد.

وخرج الطبراني وغيره من حديث أم سلمة، أن النبي ﷺ كان يقول في دعاء له طويل: «اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه»<sup>(٢)</sup>. وخرج أبو داود من حديث

(١) رواه الإمام أحمد (١٤٨٣ - ١٥٨٤). ط أحمد شاكر، وفيه جهالة مولى سعد، قال الأثرم: «سألت أحمد عنه فقال: «ما أدري»، وقلت له: «روى حديث سعد أن النبي ﷺ قال: «يكون بعدي قوم يعتدون في...» فقال: «نعم، لم يقم إسناده». والحديث ضعفه العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله في تعليقه على المسند: (٤٧/٣)، أما الدعاء فثابت من حديث معاذ المشهور «دندنة معاذ» والله أعلم.

(٢) حديث أم سلمة رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/٧١٧)، وفي الأوسط: =

عائشة قالت: «كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك»<sup>(١)</sup>.

قوله ﷺ: «وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت غلام الغيوب». ختم الدعاء بالاستغفار، فإنه خاتمة الأعمال الصالحة، وقوله: «وأستغفرك لما تعلم» جميع ما يجب الاستغفار منه من ذنوب العبد، وقد لا يكون العبد عالماً بذلك كله، فإن من الذنوب ما لا يشعر العبد بأنه ذنب بالكلية؛ كما في الحديث المرفوع: «الشرك أخفى في هذه الأمة من ديبس النمل على الصفا» قالوا: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم»<sup>(٢)</sup>.

= (مجمع البحرين ٤٥٤) باختصار قال في «المجمع» (١٧٧/١٠): «وإسناد رجاله ثقات» وهو جزء من حديث طويل، وفيه عاصم بن أبي عبيد، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»: (٣٤٩/٦)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(١) أبو داود (١٤٨٢)، وسنده صحيح.

(٢) الحديث رواه أحمد: (٤٠٣/٤)، والطبراني في «الكبير» من أبي موسى الأشعري، والحديث صحيح، لولا أبا علي من بني كاهل، الذي حدث عن أبي موسى وهو تابعي، ذكره ابن حبان في الثقات، وللشطر الأول منه شواهد كثيرة، والله أعلم.

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»<sup>(١)</sup>.

ومن الذنوب ما ينساه العبد ولا يذكره وقت الاستغفار، فيحتاج العبد إلى استغفار عام من جميع ذنوبه، ما علم منها وما لم يعلم، والكل قد علمه الله وأحصاه؛ فلهذا قال: «وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب». قال الله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه﴾<sup>(٢)</sup>.

قال إبراهيم التيمي<sup>(٣)</sup>: لأنا على ذنوبي التي لا أذكرها أخوف مني على الذنوب التي أذكرها؛ لأنني أستغفر الله من التي أذكرها.

من أهمته ذنوبه صارت نصب عينيه ولم ينسها، ومن لم تهمة ذنوبه؛ هانت عليه فنسيها، فلم يذكرها إلى يوم يتذكر الإنسان وأننى له الذكرى؛ إذا نشر ديوان السيئات ضج أرباب الجرائم من

(١) حديث عائشة معروف، متفق عليه.

(٢) المجادلة: ٦.

(٣) هو: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، العابد الثقة، كوفي، يكنى «أبو أسماء»، مات سنة: ٩٢هـ وله أربعون سنة، وأخرج له الجماعة.

صغارها قبل كبارها، ويقولون: ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن مسعود: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب طار على أنفه فقال به هكذا.

قال عون بن عبد الله<sup>(٢)</sup>: «جرائم التائبين منصوبة بالندامة نصب أعينهم، لا تنقر للتائب في الدنيا عين كلما ذكر ما اجترح على نفسه».

قال الفضيل: «بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله»<sup>(٣)</sup>.

قال كعب: «إن العبد ليعمل الذنب الصغير فيحترقه ولا يندم عليه ولا يستغفر الله منه فيعظم عند الله حتى يكون مثل الطود؛ ويعمل الذنب العظيم فيندم عليه ويستغفر منه فيصغر عند الله

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) هو: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، ثقة عابد، مات قبل سنة: ١٢٠ هـ وكلامه هذا ذكره أبو نعيم في الحلية: (٤/٢١٥).

(٣) قول الفضيل في السير للذهبي: (٨/٤٢٧).

حتى يغفر له، قال: وأصاب رجل ذنباً فحزن عليه فجعل يجيء ويذهب ويقول: بِمَ أَرْضِي رَبِّي؟ فَكُتِبَ صِدْقاً.

قال أبو أيوب الأنصاري: «إن الرجل ليعمل المحقرات حتى يأتي الله وقد أحطن به، ويعمل بالسيئة، فيفرق منها حتى يأتي الله آمناً».

قال بعض السلف: «إن الرجل لتعرض عليه ذنوبه يوم القيامة فيرى ذنباً، فيقول: ما بي، كنت مشفقاً منك، فيغفر له»<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم: «كفاك همك بذنبك من توبتك إقلاعاً وإنابة».

قال الأوزاعي: «كان يُقال: من الكبائر: أن تعمل الذنب فتحقره» ومن هنا قال بعضهم: «لاتنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر من عصيت»<sup>(٢)</sup>. وقال أويس لهم بن حيان: «لاتنظر إلى صغر ذنبك، ولكن انظر من عصيت؛ فإن صغرت ذنبك فقد صغرت الله،

(١) هذا قول عروة بن عامر كما في «الزهد» لابن المبارك: (١٦١).

(٢) ينسب هذا حديثاً إلى الرسول ﷺ، ولكنه موضوع، والصحيح أنه قول بلال بن سعد، كما حققه العقيلي في: «الضعفاء»، في ترجمة غالب بن عبيدالله، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٢٨٨)، وقول بلال ثبت في «الحلية»: (٢٢٣/٥).

وإن عظمت ذنبك فقد عظمت الله».

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: «من ذكر خطيئة عملها فوجل منها قلبه فاستغفر الله منها لم يحبسها شيء حتى يمحوها عند الرحمن».

قال الفضيل في قوله تعالى: ﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ قال: «هو الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها».

كان السلف لقلة ذنوبهم يعدونها، قال رياح القيسي<sup>(١)</sup>: «لي نيف وأربعون ذنباً قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة». ركب ابن سيرين الدّين فقال: «هذا بذنب أذنبته منذ أربعين سنة، قلت لرجل: يامفلس»<sup>(٢)</sup> فذكر ذلك لأبي سليمان، فقال: قلّت ذنوبهم

(١) هو رياح بن عمرو القيسي العابد البصري، صاحب رابعة العدوية، زاهد قليل الحديث، قيل إنه سمع من الحسن البصري، انتقد في الحديث، وله بعض البدع الزهدية، «حلية الأولياء»: (٦/١٩٢ - ١٩٧)، «ميزان الاعتدال»: (٢/٦١ - ٦٢)، وكلامه الذي ذكره المصنف في «الحلية»: (٦/١٩٤).

(٢) كلام ابن سيرين في «الحلية»: (٢/٢٦٦).

فعرفوا من أين أتوا، وكثرت ذنوبنا فلم نعرف من أين نوتى»<sup>(١)</sup>. كان معروف الكرخي رحمه الله ينشد:

أي شيء تريد مني الذنوب شغفت بي فليس عني تغيب  
ما يضر الذنوب لو أعتقتني رحمة لي فقد علاني المشيب<sup>(٢)</sup>

ما للمذنبين أحد يرجعون إليه غير الله، وإلى ذلك أشار بقوله:  
﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا  
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾<sup>(٣)</sup>.

ما يؤمل الخطاؤون إلا رحمة من أسبل على خطاياهم ذيل  
الكرم فسترها، لولا أن حلمه وسع الخلق لهلكوا.

قال هارون بن رثاب: «حملة العرش ثمانية يتجاوبون  
بالتسبيح، يقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد  
علمك، ويقول الآخرون: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد

(١) كلام أبي سليمان الداراني في «الحلية»: (٢/ ٢٧١).

(٢) الشعر ذكره ابن الملقن في «طبقات الأولياء»: (٢٨٣)، عن معروف.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٥.

قدرتك؛ لما يرون من ذنوب بني آدم»<sup>(١)</sup>.

قال محمد بن النصر الحارثي: «أصبت في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم، لويعلم الناس منك ما أعلم لنبدوك، فقد سترت عليك وغفرت لك ما كان منك ما لم تشرك بي شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «إن الله ليُذني العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقره بذنوبه، فيقول: أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ فلا يزال يقره، حتى إذا رأى أنه قد هلك قال له: إنني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»<sup>(٣)</sup>.

(١) هارون بن رثاب التميمي الأسدي أبو بكر، ويُقال: أبو الحسن العابد البصري، ثقة، اختلف في سماعه من أنس، أخرج له مسلم وغيره. وقوله هذا رواه أبو الشيخ في «العظمة»: (٣/٩٥٤)، وكذا ذكره البيهقي في «الشعب»، وعزاه السيوطي في «الجبائك في ذكر الملائك» (ص٤٧) إلى ابن المنذر، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/٧٤)، عن حسان بن عطية، وأورده عبدالرزاق في تفسيره، من طريق: هارون بن رثاب عن شهر بن حوشب، من قوله: ملاحظة: كلهم ذكروا حملة العرش ثمانية، ومن يقول أربعة منهم، فلعل ابن رجب أو الناسخ وهم في هذا.

(٢) ذكره أبو نعيم في «الحلية»: (٨/٢٢٢).

(٣) هذا حديث رواه البخاري (٢٤٤١، ٧٥١٤، ٦٠٧٠، ٤٦٨٥)، ومسلم:

(٢٧٦٨)، وأحمد: (٢/١٠٥)، عن ابن عمر.

وفي رواية: «يأتي الله يوم القيامة بالمؤمن فيقرُّبه حتى يجعله في حجابهِ من جميع الخلق، فيقول له: اقرأ، فيعرف ذنباً ذنباً، أتعرف؟ أتعرف؟ فيقول: نعم، نعم. ثم يلتفت العبد يمنة ويسرة، فيقول الله: لا بأس عليك يا عبدي، أنت في ستري في جميع خلقي، ليس بيني وبينك اليوم أحد يطلع على ذلك غيري، اذهب فقد غفرتها لك اليوم بحرف واحد من جميع ما أتيتني به؛ قال: ما هو يارب؟ قال: كنت لا ترجو العفو من أحد غيري»<sup>(١)</sup>.

إخواني: هب أنه تجاوز عن الزلل، فأين ما يلقاه العاصي عند تقريره بذنوبه من الحياء والخجل؟ العارفون ليشتد قلقهم من الحياء من الله عند الوقوف بين يديه. قال بعضهم: ما يمر بي أشد من الحياء من الله. وكان الفضيل يقول: واسوأناهُ منك وإن غفرت. وقال غيره: لو خُيرت أن أبعث فأوقف بين يديه ثم يأمر بي إلى الجنة، وبين أن لا أبعث؛ لا اخترت أن لا أبعث ولا أريد الجنة. وقال آخر: لو أمر بي من الموقف إلى النار لكان أهون عليّ من أن يقفني بين يديه ثم يأمر بي إلى الجنة.

قال أبو هريرة: يُدني الله العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه

(١) هذه الرواية أخرجه الطبراني وأبو الشيخ عن ابن عمر.

فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول:  
 اقرأ يا ابن آدم كتابك، فيقرأ، فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسرُّ  
 بها قلبه، فيقول الله: أتعرف يا عبدي؟ فيقول: نعم، فيقول: إني  
 قبلتها منك، فيسجد. فيقول: ارفع رأسك وعد في كتابك. فيمر  
 بالسيئة فيسود لها وجهه ويوجل منها قلبه، وترعد منها فرائصه،  
 ويأخذه من الحياء من ربه ما لا يعلمه غيره، فيقول: أتعرف  
 يا عبدي؟ فيقول: نعم يارب أعرف، فيقول: إني قد غفرتها لك،  
 فيسجد فلا يرى منه الخلائق إلاَّ السجود، حتى ينادي بعضهم:  
 طوبى لهذا العبد الذي لم يعص الله قط، ولا يدرون ما قد لقي فيما  
 بينه وبين الله عز وجل فيما قد وقفه عليه:

أستغفر الله مما يعلم الله	إن الشقي من لا يرحم الله
هبه تجاوزلي عن كل مظلمة	ياسوءتا من حيائي يوم ألقاه
ما أحلم الله عمن لا يراقبه	كُلُّ مَسِيءٍ وَلَكِنْ يَحْلِمُ اللَّهُ
أستغفر الله مما كان من زلل	طوبى لمن كف عما يكره الله
طوبى لمن حسنت سريره	طوبى لمن يتهي عما نهى الله

آخر الكلام على الحديث، والحمد لله، وصلى الله على

محمد وسلم.